**محور الفروقات الفردية**

**العناصر:**

**أولا: أهمية دراسة الفروق الفردية**

**ثانيا: تعريف الفروق الفردية:**

**أولا: أهمية دراسة الفروق الفردية**

تعتبر الفروق بين الأفراد و بين الجماعات و داخل الفرد الواحد مسلمة إلا أن مداها قد يتسع لتصبح الفروق أكثر وضوحا و أسهل للملاحظة و الدراسة ، و قد يضيق مداها لدرجة يصبح من الصعب ملاحظة تلك الفروق ، و من ثم يتم التعامل مع هؤلاء الأفراد و تلك الجماعات كأنهم جماعة واحدة لا فروق بينهم.

وتدل الدراسات النفسية لظاهرات النمو و الدافعية و التعلم أن الشخص يختلف عن الآخر بسبب خصائصه الفردية التي ورثها و بسبب خبراته التي مر بها في ثقافته و في منزله و في مدرسته و هكذا يكتسب عادات و اتجاهات و قيم و يفهم ما يتلقى من رموز و أشياء على نحو يميزه عن غيره. و هذا عكس تماما وجهة النظر التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر 19 التي كان يعتقد أنصارها أن الإنسان كائن استاتيكي static ، له منذ الخليقة خصائصه الجسمية و العقلية غير المتغيرة ( يوسف محمود الشيخ، جابر عبد الحميد جابر،1964. ص23).

إن طبيعة الفروق حازت على اهتمام الفلاسفة و العلماء منذ القديم سواء تعلق الأمر بالفروق بين الأفراد أو بين الجماعات. فقد اقترح أفلاطون بعض المعايير التي يختبر بها القدرات الحربية لكل من يرشح ليكون جنديا في جمهوريته المثالية. كما أشار أرسطو إلى الفروق بين الجماعات بما في ذلك الفروق بين الأجناس و الفروق من الناحية الاجتماعية و الفروق الجنسية. كما نسب هذه الفروق إلى العوامل الفطرية.

دون إغفال مساهمات المفكرون المسلمون في الإشارة إلى الفروق بين الأفراد و بين الجماعات. حيث نجد إشارة الفارابي صراحة إلى اختلاف الإنسان عن أخيه الإنسان في مقدار حضه من القوة الناطقة. كما تحدث الغزالي عن أناس لا يحبون إلا الله و أناس لا يعرفون لذة المعرفة و لا حب الله و يسعون للجاه و الرياسة و الشهوات البدنية و أناس وسط بين هؤلاء و أولئك. كما بين بن خلدون إلى الفروق بين الجماعات تبعا للموقع الجغرافي أو الإقليم ، فيرى أن الأقاليم المخصوصة بالاعتدال سكانها من البشر اعدل أجساما و ألوانا و أخلاقا و أديانا، حتى النبوءات في رأيه فإنما توجد في الأكثر فيها. أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فيسكن أهلها الكهوف، و هم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم البعض.

كما قارن بين الجماعات تبعا لدرجة رقيها الحضاري فيقول:' أن أهل البدو اقرب إلى الخير من أهل الحضر، أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ و عوائد الترف و الإقبال على الدنيا و العكوف على شهواتهم منها .. و أهل البدو و إن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا انه في المقدار الضروري لا في الترف و لا في شيء من أسباب الشهوات و اللذة، و أن أهل البدو اقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر'.(عبد الرحمان ابن خلدون. المقدمة.ب ت.ص، ص 82،83).

و يعتبر البعض أن فرنسيس جالتون Francis Galton أول شخص درس الفروق الفردية بشكل منظم و بأصالة في التفكير قادته لصوغ العديد من المفاهيم و الطرائق الرئيسة في هذا الميدان الآن. لدرجة أن البعض يصفه بأب دراسة الفروق الفردية خاصة عند نشر كتابه الموسوم ' العبقرية بالوراثة' سنة 1869. بالرغم من الانتقادات الواسعة له. ( فيفيان شاكلون، كليف فليتشر، 1989، ص ص 15،16)

و عمد بورديو Bordieu منذ 1966 إلى تحليل دور تجاهل الفروق على محتوى تشكل التفاوتات في النجاح الدراسي حيث يقول ' لكي يحظى المتعلمون ذوو الامتياز بمزيد منه، و المهمشون بمزيد من التهميش ، ينبغي و يكفي أن تتجاهل المدرسة التفاوتات الثقافية

ما بين الأطفال المتمدرسين من مختلف الطبقات الاجتماعية ، و ذلك على مستوى محتوى التعليم الملقن ، و طرائق و تقنيات التبليغ ، و معايير الحكم . و بعبارة أخرى من خلال التعامل مع المتعلمين على أنهم متساوون في الحقوق و الواجبات – و هم ليسوا كذلك في واقع الأمر – يؤول الأمر إلى النظام التربوي إلى الحكم على التفاوتات الأولية في مواجهة الثقافة'. . إن المساواة الشكلية التي تضطلع بتدبير وضبط الممارسة البيداغوجية ، ما هي في حقيقة الأمر ، إلا قناع لتبرير تجاهل التفاوتات الحقيقية في إطار التعليم و الثقافة الملقنة ان لم تكن مشترطة' في (عبد الكريم غريب، 2011.ص18)

كما نشير إلى أن دراسة مدى الفروق ارتبط بحركة القياس النفسي، الذي يعتمد على أساليب التقييم الفردي و الجمعي. كما فتح علم النفس التجريبي الباب للدراسة المخبرية لطبيعة الفروق و مداها بين الأفراد. بالإضافة إلى إسهامات المنحى الإكلينيكي في علم النفس في التعامل مع الحالات الغير عادية و الدراسة المعمقة للحالة الواحدة باستخدام العديد من الأدوات التشخيصية و الطرق العلاجية . كما يتقاطع هذا المنحى مع علم نفس الفروق حيث يمكن الوقوف على الفروق بين الأفراد الذين يعانون من نفس المشكلة في مدى استجابتهم للبرنامج العلاجي، و الفروق في أعراض مشكلتين نفسيتين، و الفروق في السلوك بين ذوي الإعاقات المختلفة.

فعلم النفس الفروق أو الفارق " Differential Psychology" فرع من فروع علم النفس العام يهتم بدراسة الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة، وقد يَضِيق مدى هذه الفروقِ أو يتَّسع، وَفقًا لتوزيع المستويات المختلفة، لكل صفة من الصفات التي نهتمُّ بتحليلِها ودراستها.

كما يمكن تعريف علم النفس الفروق بالعلم الذي يدرس الفروق بين الأفراد و بين الجماعات و داخل الفرد الواحد في السلوك و العمليات العقلية و الانفعالية لتحديد مداها

و الدلالة الإحصائية لذلك المدى و تفسيرها و ضبطها و التنبؤ بمستقبلها و رسم الخطط للتعامل مع الأفراد و الجماعات بموجبها.( محمد عودة الريماوي ، 1994، ص 46).

**ثانيا: تعريف الفروق الفردية:**

ترتبط الفروق الفردية لدى الإنسان بالعديد من الصفات الخاصة به، حيث يظهر الفرق بين شخص و آخر من خلال وجود هذه التمايز في هذه الصفات.

وفيما يأتي بعض المعلومات عن تعريف الفروق الفردية:

يمكن تعريف الفروق الفردية على أنها مجموعة من الاختلافات التي تظهر في الصفات المشتركة بين الناس.

*و تعد هذه الفروق وسيلة للتمييز بين الناس بما يمتلكون من قدرات خاصة، سواء كانت هذه الصفات إيجابية أو سلبية.

*قد تشكل الفوارق بين الناس مقياسًا لقدرة الإنسان على التعلم، واكتساب الخبرات العملية، فصفة الذكاء تمكن الإنسان من التفكير على نحو إبداعي، ليصل الإنسان إلى مستوى غير نمطي في النظر إلى الأشياء من خلال ما يمتلكه مهارات فردية خاصة.

•هي الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة.

*الانحرافات الفردية عن متوسط الجماعة التي ينتمي إليها الفرد في أي خاصية أو قدر أو سمة مقاسة.

*الدراسة العلمية لمدى الاختلاف في الصفات المتشابهة.

*هي تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفة جسمية أم في سلوكه الاجتماعي .

*هي اختلافات بين فرد و آخر في مواصفات و قدرات معينة، كالفروق في القدرات العقلية أو النفسية أو الجسمية بين إنسان و آخر .

ولعل أشهر هذه الفروق تبدو في الصفات الجسمية كالطول والوزن ونغمة الصوت وهيئة الجسم وهذه الفروق الجسمية تطفو على السطح فنشاهدها وهناك أيضا فروق كثيرة في الصفات الإدراكية والانفعالية .

**1-أنواع الفروق الفردية**

• الاختلافات الجسدية: مثل قصر أو طول القامة، بياض أو سمار البشرة، السمنة أو النحافة، وغيرها من الاختلافات الجسدية.

•الاختلافات في القدرات العقلية: حيث تظهر الفروق الفردية بين الناس في مقدار النشاط الذهني، والقدرة على أداء نشاط عقلي معين، وعادة ما يظهر هذا النوع من الفروق في مراحل مبكرة من حياة الإنسان، حيث يمكن تمييز الأطفال الذي لديهم قدرات عقلية عالية ترتبط بصفة الذكاء، أو قد يكون لدى بعض الأطفال قدرات عقلية محدودة تكون جلية من خلال عدم مقدرتهم على مواكبة المستوى العام لأداء الطلبة. وبالتالي يمكن تصنيفهم من العباقرة إلى البلهاء، على أساس مستوى ذكائهم.

• الاختلافات في التوجهات: يختلف الأفراد في توجهاتهم تجاه مختلف الأشخاص والأشياء والمؤسسات والسلطة.

•الاختلافات في الإنجاز: وجد من خلال اختبارات الإنجاز أن الأفراد يختلفون في قدراتهم على الإنجاز، وتظهر هذه الاختلافات بوضوح في القراءة والكتابة وتعلم الرياضيات... .

• الاختلافات في القدرة الحركية: يمكن لبعض الأشخاص أداء المهام الميكانيكية (الحركية) بسهولة، بينما يشعر الآخرون، رغم أنهم في نفس المستوى بصعوبة كبيرة في أداء هذه المهام.

• الاختلافات بسبب العرق أو السلالة: الأفراد في دولة ما يختلفون عن أفراد آخرين من دولة أخرى، سواء في النواحي الجسدية أو الشخصية، فمثلا الروس يتميزون بطول القامة، ومن المعروف عن الهنود أنهم خجولون ومحبون للسلام.

• الاختلافات العاطفية: يختلف الأفراد في ردود أفعالهم العاطفية تجاه موقف معين، بعضهم سريع الغضب والعدوان ويغضب بسرعة جدا، وهناك أشخاص آخرون ذوو طبيعة سلمية ولا يغضبون بسهولة.

• الاختلافات على أساس الجنس (النوع): اكتشفت بعض الدراسات أن هناك اختلافات بين الرجال والنساء، منها أن: النساء لديهن مهارة أكبر في الذاكرة بينما يتمتع الرجال بقدر أكبر من القدرة الحركية، تتفوق النساء على الرجال في اللغات، بينما يتفوق الرجال في الفيزياء والكيمياء، وغيره. ولكن تبقى هذه الفروق نسبية.

•الاختلافات في القدرات الفنية: ترتبط هذه القدرات لدى الأفراد بوجود موهبة تميزه عن بقية الأفراد، كموهبة الصوت الجميل أو موهبة الرسم، حيث يكون لهؤلاء الأفراد قدرة على أداء بعض الأمور في مجال موهبتهم، والتي لا يستطيع الإنسان العادي أن يأتي بها على وجهها المخصوص.

• الاختلافات في القدرات اللفظية: والتي تظهر من خلال امتلاك بعض الأشخاص للقدرة الخطابية، والطلاقة في الحديث، والإتيان بألفاظ حروف اللغة على وجهها الصحيح.

**و الفروق الإنسانية في الدراسات النفسية أربعة أنواع هي :**

* – فروق فردية بين إنسان وإنسان بصفة عامة.

* – فروق جنسية.

* – فروق الفرد في ذات نفسه.

* – فروق جماعية أو قومية وذلك ما يتميز به شعب عن شعب أو مجتمع عن غيره فللعرب نفسيتهم العامة وشخصيتهم المميزة وكذلك الحال لدى اليابانيين والروس والانكليز مما يسمى بالشخصية القومية أو الطابع القومي للشخصية.

كما نشير إلى أن هناك:

• فروق تخص النوع: وتشمل هذه الفروق الصفات المختلفة كاختلاف الوزن والطول والاتزان الانفعالي والذكاء، وعند وجود فرق في النوع لا يمكن إجراء قياس لأن وحدة القياس المشتركة غير موجودة.

•فروق في الدرجة: تشمل الفروق التي تخص صفة واحدة، لكنها تختلف من شخص لآخر، كأن تتم مقارنة الذكي بالأقل ذكاءً والطويل بالقصير، والنحيف بالسمين.

**2-أسباب الفروق الفردية :**

من أسباب الفروق الفردية وتفاعلها يرجع إلى عاملين أساسيين هما:

•عامل البيولوجيا والاستعداد الوراثي: ويشمل الجسم وأجهزته وحواسه وأعصابه وغدده .
و تضمن الكروموزومات ننقل الصفات أو السمات الأساسية من الأصل إلى النسل أو الفرع أي من الآباء إلى الأبناء حسب قوانين علم الوراثة في أعضاء الجسم ووظائفها.

***عامل البيئة الاجتماعية: ويشمل الأسرة ،المدرسة ،الأصدقاء ، المؤسسات التربوية و التعليمية والاجتماعية و الإعلامية والمهنية بالإضافة إلى منصات و شبكات التواصل الاجتماعي. هذه العوامل تتفاعل فيما بينها. بمعنى آخر أن احدهما يؤثر في الآخر ويتأثر فمثلا الاستعداد للمشي هو استعداد وراثي يضاف إليه عامل النضج العضوي و العقلي و التدريب على تعلم المشي .كما أن للكلام هو وراثي فطري ولكن لابد من تعلم الإنسان اللغة من بيئة الإنسانية ، فلو نشأ طفل بين حيوانات لشب عاجزا عن الكلام الإنساني .**

**3-أهمية اكتشاف الفروق الفردية: لا يستطيع إنسان واحد مهما أوتي من إمكانيات أن يستغني عن غيره من الأفراد في إشباع حاجاته المتعددة، فهم يتعاونون في بناء حياة إنسانية مشتركة سليمة فردية و جماعية. فإهمال مابين الأفراد من الفروق له أثره السيئ بالفرد نفسه و بالمجتمع الذي يعيش فيه وتتجلى هذه الأهمية على مستوى:**

*** التنشئة والتربية : فرعاية الفروق الفردية من أسس التنشئة الاجتماعية و لصحة النفسية السليمة التي تقوم على الاعتراف بالفردية تيسر كشفها وحسن استغلالها وتوجيهها إلى أقصى الحدود الممكنة لتكامل الحياة ونجاحها، فالتربية السليمة تعتبر كل فرد غاية ووسيلة في حد ذاته ويجب أن تستغل مواهبه لتحقيق مبدأ التكامل والتضامن.**

*** الإعداد المهني والوظيفي: إن الفرد يحمل استعداد لنوع من الأعمال دون غيرها، و الحياة تتطلب أنواع مختلفة من العمل والكفاءات يتمم بعضها بعضا لتكون مجتمعا متضامنا. وهذا يقتضي كشف تلك الفروق بين الأفراد و توفير الظروف والعوامل المساعدة على نموها و توجيهها .فالفروق الفطرية والمكتسبة هي إمكانيات هائلة للإعداد المهني والتطور في جميع الأعمال وبذلك يوضع الفرد المناسب في العمل المناسب له.**

*** أهمية خلقية: إذ أن معرفة الفروق بين الأفراد تساعد على فهم الآخرين وإلقاء الضوء على كثير من تصرفاتهم فلا يجوز للإنسان أن يطلب من كل إنسان أن يعامله نفس المعاملة فلكل فرد أسلوبه الخاص في التعبير الانفعالي وأداء السلوك .**

*** أهمية ذاتية : فمعرفة الفروق الفردية تساعد الفرد على تفهم نفسه واستغلال مواهبه ومعرفة إمكاناته و لاسيما في مراحل الرشد والنضج، فالراشد المثقف والمتعلم يستطيع أن يفهم كثير من إمكانياته وان يسعى لاستغلالها بطريقة ايجابية .**